الباب والبابية

من اربعين سنة
في المقتطف

للسيد ميرزا فضل الله الايراني

لا يخفى ان المؤسس للبابيَّة رجلان شهيران من اهل الشرق وهما الباب وبهاء الله . أما الباب فهو شاب شريف من اهل شيراز خامسة فارس اسمهُ ميرزا علي محمد ولد في غرة محرم سنة ١٢٣٥ هجرية من عائلة معروفة بالسادة الحسينية من اهل التجارة . وتوفي والده ميرزا محمد رضا قبل فطامه وربي هو في حجر خاله الحاج ميرسيد علي التاجر الشيرازي . وكان من طفولته مواظباً على العبادات مداوماً على الصلوات فلما ترعرع وشب اشتهر بالتقوى والورع وكان جميل الوجه كثير الوقار ظاهر المهابة بادي النجابة . واشتغل بالتجارة مع خاله المذكور في مدينة بوشهر وشيراز . وسافر قبل اظهار دعوته الى العراق لزيارة مشاهد الائمة كما هو معهود من الشيعة ومكث في العراق اقل من خمسة اشهر وهناك كان اول اشهار اسمه بين الجمهور

فلما رجع إلى شيراز وبلغ سنهُ الخامسة والعشرين ادعى انهُ الباب [1] وذلك في الخامس من جمادى الاولى سنة ١٢٦٠ هجرية وأول من صدقهُ وآمن بهِ ملا حسين الشهير الملقب عند البابية بباب الباب وهو من أهل بُشْرُوَيه من بلاد خراسان . وهكذا تتابع عليهِ حتى بلغ عددهم ١٨ نفساً فسماهم بحروف حي [2] وأمرهم بالتوجه إلى بلاد ايران والعراق وتبشير العلماء بظهوره ودعوتهم الى اتباعهِ وحثهم على كتمان اسمهِ حتى يعلنهُ هو بنفسهِ في وقتهِ

وتفنن المفسرون لاسم الباب كلٌّ على ما توهمهُ رجماً بالغيب كما يستفاد مما ذكرتهُ الجرائد النصرية حديثاً . فبعضهم فسره بباب العلم وبعضهم بباب السماء وبعضهم بباب الحقيقة ولكن المستفاد من كتبهِ « انهُ هو القائم المبشر بقرب نزول المتقد المجيد ودخول العالم في دور جديد » ولهذا اشتهر اتباعه بالبابية وذاع صيتهم بهذا اللقب في الممالك الاسلامية

ولما اتى موسم الحج توجه الى مكة وبعد فراغه من اعمال الحج اعلن دعوته في المجمع الكبير فاشتهر اسمهُ وذاعت دعوتهُ وعلا صيته ورجع الى ايران ونزل في مدينة بوشهر على

(١) الباب عند الشيعة نائب المهدي المنتظر (٢) لان عددها بالابجدية ١٨

خليج العجم فقبض عليه والي فارس حسين خان الملقب بنظام الدولة وبقي محبوساً في مدينة شيراز عدة شهور حتى حدث في بلاد فارس وباء شديد فقر اكثر الاهالي وخلوا عن حراسته فرجع الى بيته وسافر الى اصفهان ونزل في بيت امام الجمعة مير سيد محمد الملقب بسلطان العلماء . وكان والي اصفهان اذ ذاك الامير الشهير معتمد الدولة منوچهرخان فانجذب من حسن بيانه ومال اليه واعتقد به وكتب الباب كتابه الموسوم بالنبوة الخاصة في خصائص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بطلب منه . وكتب ايضاً كتابه الموسوم بتفسير سورة الكوثر بطلب سلطان العلماء

وكان الباب يتعجل في خطبه ورسائله حتى قيل انه كان يكتب في اربع ساعات الف سطر بالعربية او الفارسية على غاية من جودة الخط وحسن الاسلوب . ووقع بينه وبين العلماء مناظرات اكثرها مدون في الكتب التاريخية فأدهشهم بقوة قريحته وسرعة قلمه وحسن بيانه . فحدث بين العلماء اختلاف كبير في امره وهيجان شديد منهم من صدقه وآمن به مثل محمد تقي المدرس الهروي وحبيب الله العلوي ومنهم من حكم بجنونه مثل مير سيد محمد واتباعه . والاكثرون افتوا بتكفيره ووجوب قتله مثل محمد مهدي الكلباسي وأضرابه . فنقله الوالي من بيت سلطان العلماء الى بيته وأخفاه وأظهر انه ارسله الى طهران بأمر المرحوم محمد شاه . فبقي مختفياً في بيت منوچهر خان حتى توفي وتولى ابن اخيه ميرزا كركين خان على اصفهان فأرسل الباب بأمر المرحوم محمد شاه الى طهران فلما صار على نحو مرحلة من طهران ارسلوه الى آذربايجان وبقي محبوساً في جهريق وماكو وهما قلعتان من قلاع آذربايجان حتى توفي المرحوم محمد شاه وجلس على تخت ايران جلالة ناصر الدين شاه . وفي اثناء ذلك اشتدت الخصومة بين اتباع الباب وعلماء ايران وولاة البلاد فقاموا يداً واحدة على البابيين واتفقوا على لزوم ابادتهم فاشتبكت الحرب بينهم في بلاد مازندران وزنجان وتبريز

وخلاصة هذه الوقائع ان ملا حسين المذكور آنفاً سار مع اصحابه من خراسان قاصدين كربلا من بلاد العراق ولحق بهم الحاج ميرزا محمد علي المازندراني الملقب عند البابية بالقدوس وملا محمد صادق الخراساني الملقب عند الشيعة بالمقدس وهما من العلماء المشهورين فعقدوا اعلاماً سوداً ورحلوا فلما وردوا الى ساري عاصمة مازندران حكم ملا سعيد اكبر علماء البلد بوجوب محاربة البابيين وابادتهم . فالتجأوا الى مقبرة الشيخ الطبرسي احد العلماء المشهورين وحصنوها وقاموا للمدافعة وكان عدد البابيين ٣١٣ نفساً وحصل بينهم مناوشات كان الفوز فيها للبابيين . فصدر الامر من الدولة لباسقلي خان السردار اللاريجاني بمحاربة البابيين لمحاصرهم هو ومهدقلي ميرزا والي مازندران بالمدافع والجنود المنظمة فأوقع بهم البابيون وقتلوا منهم خلقاً كثيراً فتنابعت عليهم العساكر والمدافع وامتد الحصار وقتل في اثنائها رئيسهم ملا حسين واشتد عليهم الجوع

واخيراً أمنهم الوالي والسردار وخرجوا وسلموا اسلحتهم فاحاطت بهم العساكر وقتلوهم بالرصاص جميعاً الا رئيسهم الملقب بالقدوس وبعض خواصه فأرسلوا الى مدينة ساري وقتلهم ملاّ سعيد كبير العلماء باتفاق الطلبة واحرق جثثهم

وكذلك في مدينة زنجان اشتد الخصام بين البابية وعلماء الشيعة وكان زعيم البابيين الحاج ملاّ محمد علي الزنجاني احد العلماء المشهورين وكان الوالي امير اسلان خان الملقب بمجد الدولة خال ناصر الدين شاه. فعمل الوالي باغراء علماء الشيعة على إبادة البابية واشتبك للقتال بينهم واشتد الامر على الوالي فارسل إلى طهران فأرسلت لهُ العساكر والمدافع حتى قتل زعيم البابيين وفني رجالهُ عن آخرهم وارسلت بقية منهم الى طهران فقتلوا هناك . وفي مدينة تبريز من مدن فارس اشتبكت الحرب بين الحزبين وكان رئيس البابيين العالم الشهير السيد يحيى الدارابي ابن السيد جعفر الكشفي صاحب المصنفات كشارق ونحفة الملوك وغيرها . فآل الامر الى قتل السيد يحيى واصحابه بعد تأمينهم

فلما توفي المرحوم محمد شاه سنة ١٨٤٨ ميلادية وجلس على التخت جلالة ناصر الدين شاه في العشر من سبتمبر من تلك السنة كانت ايران اذ ذاك مصدر القلاقل والفتن بسبب سوء تصرف اتراك الايروان المستولين على المناصب في صدارة حاجي ميرزا أقاسي وأعلن والي خراسان محمد حسن خان الملقب بسالار العصيان على الدولة وادعى الملك وعقد صلحاً مع امراء أفغان وبخارى وتركستان وازدادت هذه القلاقل بظهور البابية وما وقع بسببهم من المحاربات الدموية . فعزم ميرزا تقي خان الصدر الاعظم على قتل الباب وظن انه يتمكن من ابادة البابية بقتل رئيسهم فأصدر أمراً بقتله إلى حشمة الدولة حمزه ميرزا والي تبريز وهو عم جلالة ناصر الدين شاه فأبى هذا وقال « ساء ظني وخاب أملي فاني كنت آملاً من دولة ايران تأمرني بمحاربة دولة من الدول الكبيرة وما ظننت أبداً أنها ستأمرني بقتل أحد أتقياء اولاد الرسول الذي ما فات منهُ نافلة من النوافل الدينية ولا أدب من الآداب العالية الانسانية » فامر الصدر الاعظم أخاه ميرزا حسن خان رئيس عساكر أذربايجان بقتل الباب فعلق في ميدان مدينة تبريز وقتل بالرصاص في ٢٨ شعبان سنة ١٢٦٦ هجرية . فلما قتل الباب زاد اشتهار تعاليمه وكذلك زاد اضطهاد اتباعه. واشتهر من بعض رؤسائهم دعاوي مختلفة من قبيل النبوة والوصاية والولاية والمرآتية وامثالها فاختلفت آراؤهم وتشتت اهواؤهم وسقط كثير منهم في الضلالات وانهمك بعضهم في المنكرات والموبقات وزاد الطين بلة ان اطلق شاب اسمهُ محمد صادق التبريزي رصاصة على جلالة ناصر الدين شاه سنة ١٨٩٦ ميلادية حينما خرج جلالتهُ للصيد من قصره في قرية ياوران وهي على ساعتين من طهران فاشتد الامر في طهران وسائر البلاد على البابيين فقبضوا على المتهم والبريء والمطيع والعاصي وقتلوا كثيرين منهم باشد انواع القتل وافظعها

ومن جملة من قتل في هذه الحادثة المرأة الشهيرة قرة العين وهي بنت حاجي ملاً صالح اكبر علماء قزوين . وكانت اعجوبة عصرها في العلم والفصاحة وحسن البيان وطلاقة اللسان وكانت منتسبة الى الشيخية مكبة على مطالعة الكتب الكلامية. فلما ظهر الباب وانتشرت رسائله اعتنقت مذهبه وصارت من أعظم انصاره وكانت اذ ذاك في مدينة كربلا فناظرت علماءها فأفحمتهم بقوة فصاحتها وغزارة علمها .فحدث هيجان عظيم بين علماء العراق فاضطرت ان تمضي الى بغداد ونزلت مع بعض خواصها وحاشيتها في بيت ابن الالوسي الشهير مفتي بغداد (وهو مصنف كتاب تفسير روح المعاني المطبوع في بولاق)ومكثت في بيته نحواً من شهرين وناظرت علماء بغداد فرضوا جاطاعلى الاستانة فرجعت الى ايران بأمر السلطان المرحوم عبد المجيد خان فلما بلغت ايران ناظرت علماء كرمانشاه وهمذان ووردت الى قزوين ومكثت في بيت والدها حتى قتل عمها في قزوين فمضت الى طهران ونزلت في بيت الشارع الشهير بهاء الدين . فقبض عليها بعد مدة وبقيت محبوسة في طهران حتى حدثت حادثة سنة ١٨٩٦ ميلادية كما ذكرنا آنفاً فقتلت خنقاً والقيت جثتها في بئر الجبنيذة المعروفة بباغ ايلخاني

قال ابن الالوسي « القرتية اصحاب امرأة اسمها هند وكنيتها ام سلمة ولقبها قرة العين لقبها بذلك السيد كاظم الرشتي في مراسلاته لها وهي ممن قلدت الباب بعد موت الرشتي ثم خالفته في عدة اشياء منها التكاليف فقيل انها كانت تقول برفع التكاليف بالكلية وأنا لم احس بشيء من ذلك مع أنها بقيت في بيتي نحو شهرين وكم من بحث جرى بيني وبينها ورفعت فيه الثقة وقد رأيت فيها من الفضل والكمال مالم اره في كثير من الرجال وهي ذات عقل واستكانة ومزيد حياء وصيانة وقد ذكرنا ما جرى بيننا من المباحثات في غير هذا المقام واذا وقفت عليه تبين ان ليس في فضلها كلام » الى آخر قوله . وقد خلف الباب رسائل كثيرة وكتباً مدونة بالفارسية والعربية منها ماذكرناه ومنها الرسالة العدلية في الفرائض الاسلامية ومنها تفسير سورة البقرة واحسن القصص وكتاب اسماء كل شيء ومنها البيان الفارسي . واورد عليه اعداؤه ان كلامهُ خارج عن الفصاحة وفيه ما يخالف القواعد النحوية . وقيل انه لما انتقدوا عليه هذا الانتقاد اجاب بأن الكلمات كانت مقيدة فلما ظهر أطلقها من القيد ...ولكني رأيت في كتاب البيان انهُ أجاب عن هذا الايراد اولاً بأنهُ ما قرأ النحو والصرف وما تعلم في المدارس وما ادعى انهُ من اهل العلم بل انهُ شاب فارسي امي مأمور من ربهِ بما يعارفه . وثانياً بأن منكري القرآن انتقدوا على رسول الله عليه السلام بامثال هذه الانتقادات واستشهد ببعض الآيات القرآنية التي انتقدوا عليها بأن فيها ما هو مخالف للقواعد النحوية والاصول اللغوية . والحق يقال ان كتب الباب وبهاء الله ورسائل فرعه الكريم عباس ليست مما ينتقد عليها بأمثال ذلك

والباب حسابات دقيقة ليس هنا مقام تفصيلها مثلاً عبر عن العدد ١٩ بالواحد تطبيقاً على حساب الابجدية وبحاصل ضربه في نفسه بعدد كل شيء وبنى على هذا العدد تواريخ ايامه وطبقات اصحابه وابواب كتبه والسنن والآداب المنسوبة الى طريقته . ولهُ احكام صعبة صارمة قلما يمكن ان يعمل بها نفحها وأصلحها بهاء الله كما سنبينهُ . واما بهاء الله واسمهُ ميرزا حسين علي فولد في ٢ محرم سنة ١٢٣٣ هجرية ووالده ميرزا عباس الملقب بزرك النوري كان من كبار وزراء دولة فتح علي شاه والعائلة النورية من العائلات الشهيرة في بلاد ايران

فلما قام الباب واشتهر ذكره صدقهُ بهاء الله فاشتد بهِ ازر البابيين وعلت كلمتهم وكثرت جماعتهم وانتشرت تعاليمهم في طهران ومازندران وكان بينهُ وبين الباب مراسلات سرية كان الواسطة فيها ميرزا عبد الكريم القزويني كاتب ألواح الباب . فلما حدثت حادثة سنة ١٨٩٦ م كما ذكرنا قبض على بهاء الله وسجن نحو اربعة اشهر وحوكم بمحضر جمع من الوزراء وكان سفير روسيا يدافع عنهُ فلما ثبتت براءتهُ من تهمة الاتفاق مع الخارجين على الشاه امر الشاه بالافراج عنهُ وابعاده الى العراق فخرج من طهران مصحوباً ببعض عساكر ايران تراقبهُ بعض فرسان سفارة الروس حفظاً لهُ من الاغتيال في الطريق حتى ورد بغداد سنة ١٨٩٧ م

ولما اقام في بغداد اشتد ازر البابيين بهِ وطابت مثاهلهم بورودهِ فانهُ كان على جانب عظيم من الوقار والمهابة والدعة . فأخذ في تهذيب ما فسد من اخلاقهم واصلاح ما انحرف من اعمالهم وأجمع كلمتهم وأشهر دعوتهم فطار صيتهُ وانتشرت رسائله . وطالت اقامتهُ في العراق نحو ١٢ سنة حتى ظهرت حزازات وضغائن في صدور بعض الايرانيين المقيمين في العراق واشتعلت بين الحزبين نار العداوة والشقاق . فآل الامر الى ارسال بهاء الله الى الاستانة بأمر السلطان عبد العزيز خان . وبعد ما مكث فيها نحو اربعة اشهر أمر بالسير الى مدينة ادرنه من بلاد رومللي فتوجه اليها وأقام فيها نحو خمس سنين وجدَّ في نشر تعاليم البابيين حتى تكررت العداوة وتكررت الشكاية فصدر الامر بنفيه الى عكاء من بلاد الشام فتوجه اليها مع اهل بيته وخدامه

ولم يثنِ عزمهُ عن تقديم اتباعهِ وتهذيب اخلاقهم مع ما لحقهُ من الاضطهاد فسنَّ لهم سنناً عادلة وقرظ آذانهم بمواعظ حسنة فوضح رسائله التي زادت عن الالف عدة بأحسن المواعظ والنصائح وزينها بأجمل الامثال والشواهد . ففرض عليهم تربية الاطفال ذكوراً واناثاً بالعلم والادب والاهتمام بتعميم المعارف وتوسيع نطاقها حتى قيل انهُ ادخل المعلمين في طبقات الورثة وكذلك فرض عليهم الاشتغال بالصناعة والتجارة ونهاهم عن الكسل والبطالة وأمرهم بحب الخلق على اختلاف مذاهبهم وأديانهم وعلمهم ان الاديان شرعت للصحبة والوفاق فلا يجعلها سبباً للعداوة والافتراق . وحثهم على اطاعة الملوك والرضوخ للقوانين الدولية ومنعهم من الدخول

في الامور السياسية وصرّح في كتبه بأن سلطة الملوك سلطة سماوية ومنحة الهية . ولذا منعهم عن التكلم بالسوء في حق الملوك والامراء . وفرّق بين المعاملات والعبادات فأرجع حكم العبادات الى الكتاب وحكم المعاملات الى المجالس المدنية ونهى عن تأويل الكتاب . وكذلك منعهم عن اللعن والسب والشتم والغيبة والافتراء والقتل والزنا وعن كل ما يخالف الانسانية ويحدث القلق والاضطراب في الهيئة الاجتماعية حتى منعهم عن حمل الاسلحة الا باذن الدولة ومنعهم عن المتعة والتسري وأمرهم بالاكتفاء بزوجة واحدة وان لا يتجاوز اثنتين البتة وصعب عليهم الطلاق وعندهم الصوم والصلاة والحج والزكاة على حسب ما فصل لهم في الكتب الدينية فنجح في بث تعاليمه وتحسين اخلاق شعبه الى ان توفي في ١٦ ايار سنة ١٨٩٢ م موافقاً لثاني ذي القعدة سنة ١٣٠٩ هـ

وأول من دوّن وقائع البابية هو ميرزا تقي المستوفي الكاشاني الملقب باسان الملك مصنف كتاب ناسخ التواريخ فانه ذكر في تاريخه المخصوص بالقاجارية واقعة ظهور الباب وحوادثها موافقاً لما اشتهر عنها عند اعداء البابيين فنسبهم الى الفساد والالحاد وذكر عنهم اموراً تنفر منها القلوب وتشمئز منها النفوس . لانهُ في ايام اضطهاد البابيين اجتهد المعاندون لهم في بث المفتريات عليهم ورموهم بالاباحة وفساد الاخلاق فما بقوا قبيحاً الا نسبوه اليهم ولا رذيلة الا وصفوهم بها فأشكل أمرهم على الاوربيين فقام جماعة من اهل الفضل والانصاف منهم لكشف عقائد البابية ومعرفة غاياتها . منهم العالم الفاضل مستر برون معلم اللغات الشرقية في كمبردج . سافر الى ايران سنة ١٣٠٥ هجرية وعاشر البابيين وأخذ شيئاً من كتبهم وسافر من ايران الى الشام ودخل عكاء ولقي بهاء الله فرجع الى اوربا ونشر ما رآه في المجلات العلمية . وكذلك الاستاذ البارون رزن احد الاساتذة في مدارس بطرسبرج ترجم بعض رسائل بهاء الله ونشرها في بلاد روسيا وسائر اوربا . ومنهم الكابتن الكسندر تومانسكي احد الضباط سافر الى مدينة عشق آباد ومنها الى ايران وعاشر البابيين وعرف غاياتهم وأخلاقهم وشرع في تأليف تاريخهم . وكذلك قام بعض افاضل الشرقيين لتدوين وقائعهم منهم ميرزا محمد حسين الهمداني صاحب كتاب التاريخ الجديد . وهذا سافر مع جلالة ناصر الدين شاه في سفره الاول الى اوربا وعند عودته الى الاستانة وعرف شيئاً عن الطريقة البابية . فلما رجع الى ايران صنف تاريخه المذكور وترجم الى الفرنسوية والانكليزية في اوربا . ومنهم المؤرخ السائح ابو الفضل محمد ابن محمد رضا الجرقادقاني نزيل بخارى مصنف كتاب فصل الخطاب . وأما لسان الملك المذكور صاحب التاريخ الكبير ناسخ التواريخ فقد عدّل لهجتهُ نوعاً في هذا الكتاب عند ذكر حوادث البابيّة وما كتبهُ عن وقائع البابيّة في اصل ناسخ التواريخ اقرب الى الحقيقة مما كتبهُ في المجلد المخصوص بالقاجارية . وستكشف الايام من غرائب وقائع البابيّة ما سترتهُ الاغراض السياسيّة